

حياة أعظم الرسل

مِنْ أَخْلَاقِ الرَّسُولِ
الْحِلْمُ وَالصَّبْرُ وَالْعَفْوُ

مِنْ أَخْلَاقِ الرَّسُولِ الْحِلْمُ وَالصَّبْرُ وَالْعَفْوُ

حِلْمُهُ وَصَبْرُهُ وَعَفْوُهُ :

عُرِفَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ عَلَى مَا أَصَابَهُ مِنْ
الْمَكْرُوهِ ، عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ
عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ . أَيْ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ
الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى عَزِيمَةٍ ثَابِتَةٍ ، وَإِرَادَةٍ
قَوِيَّةٍ .

وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ اِسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ
وَالصَّلَاةِ ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .
فَكَانَ الرَّسُولُ صَبُورًا عَلَى الْأَذَى ،
كَثِيرَ الْحِلْمِ وَالِإِحْتِمَالِ ، وَالتَّمَسَّ
الْمَعْدِرَةَ (الْعُذْرَ) لِمَنْ أَسَاءُوا إِلَيْهِ مِنْ
أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهَا قَائِلًا : « اَللّٰهُمَّ (يَا
اَللّٰهُ) اغْفِرْ لِقَوْمِيْ فَاِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ » .
وَحِينَمَا دَخَلَ مَكَّةَ ، وَانْتَصَرَ عَلَى الْكُفَّارِ
مِنْ قُرَيْشٍ خَافُوا ، وَاعْتَقَدُوا اَنَّهُ سَيَنْتَقِمُ
مِنْهُمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : « مَا تَظُنُّوْنَ اَنِّيْ فَاعِلٌ
بِكُمْ ؟ » قَالُوْا : خَيْرًا ، (اَنْتَ) اَخْ

كَرِيمٌ ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ . فَقَالَ :
 « اذْهَبُوا ، فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ » (الْأَحْرَارُ)
 وَعَفَا عَنْهُمْ قَائِلًا : إِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ
 أَخِي يُوسُفُ : « لَا تَشْرِبَ ^(١) عَلَيْكُمْ
 الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ، وَهُوَ أَرْحَمُ
 الرَّاحِمِينَ » .

وَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ رَجُلٌ لِلرَّسُولِ :
 اِعْدِلْ ، فَإِنَّ هَذِهِ قِسْمَةٌ ^(٢) لَمْ يُقْصَدَ بِهَا
 وَجْهُ اللَّهِ .

(١) لَا تَوَمَّ .

(٢) كَانَ النَّبِيُّ يُقَسِّمُ الْأَمْوَالَ عَلَى الْمُسْتَحِقِّينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ لَهُ
 الرَّجُلُ هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى سُوءِ الْأَدَبِ .

فَبَيَّنَ لَهُ الرَّسُولُ الْأَشْيَاءَ الَّتِي
لَا يَعْرِفُهَا ، وَطَلَبَ لَهُ الرَّحْمَةَ ، وَقَالَ
لَهُ : « مَنْ يَعِدُ إِنْ لَمْ أَعِدْ ، خَبْتُ
وَحَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعِدْ » . وَأَرَادَ أَحَدُ
أَصْحَابِ الرَّسُولِ قَتْلَهُ فَمَنَعَهُ . فَالرَّسُولُ لَمْ
يَغْضَبْ ، وَلَمْ يَنْتَقِمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ ، وَلَا
مِنْ غَيْرِهِ ، وَكَانَ مَثَلًا عَالِيًا لِلْحِلْمِ
وَالصَّبْرِ ، وَالْعَفْوِ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ .
وَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَقَالَ لَهُ : أَوْصِنِي .
فَقَالَ الرَّسُولُ الْحَلِيمُ : « لَا تَغْضَبْ » .

فَكَرَّرَ الرَّجُلُ قَوْلَهُ لِلنَّبِيِّ : أَوْصِنِي .
فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ : « لَا تَغْضَبْ » .
وَهِيَ أَحْسَنُ وَصِيَّةٍ يَجِبُ أَنْ نَتَحَلَّى بِهَا .
وَقَالَ : كَاذَ (قُرْبَ) الْحَلِيمُ أَنْ يَكُونَ
نَبِيًّا .

كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ يَذْهَبُ إِلَى الرَّسُولِ :
كَانَ كَعْبٌ شَاعِرًا ، وَكَانَ ضِدَّ
الرَّسُولِ وَالْإِسْلَامِ . وَقَدْ غَضِبَ عَلَى
أَخِيهِ حِينَ أَسْلَمَ وَأَمَّنَ بِالرَّسُولِ ، وَكَتَبَ
إِلَيْهِ يَلُومُهُ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَخُوهُ ، وَنَصَحَ لَهُ
أَنْ يَتُوبَ وَيَنْدَمَ عَلَى مَا فَعَلَ ، وَيَذْهَبَ

لِمُقَابَلَةِ الرَّسُولِ بِالْمَدِينَةِ ، وَطَلَبَ الْأَمَانَ
مِنْهُ .

فَجَاءَ كَعْبٌ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَنَزَلَ عَلَى
سَيِّدِنَا عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ^(١) ، فَأَتَى بِهِ عَلِيٌّ
إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَقَالَ لَهُ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ،
فَقُمْ إِلَيْهِ ، وَاطْلُبْ مِنْهُ الْأَمَانَ .

فَسَمِعَ كَعْبٌ كَلَامَهُ ، وَقَامَ إِلَى الرَّسُولِ ،
وَذَهَبَ إِلَيْهِ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَوَضَعَ
يَدَهُ فِي يَدِهِ قَائِلًا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ كَعْبَ
بَنَ زُهَيْرٍ قَدْ جَاءَ يَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَ ،

(١) لِأَنَّهُ لَمْ يَسْجُدْ فِي حَيَاتِهِ لِصَنَمٍ مِنَ الْأَصْنَامِ . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ
الصُّبْيَانِ .

وَتَابَ إِلَى اللَّهِ ، وَنَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ ، مُعَلِّناً
إِسْلَامَهُ ، فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ مِنْهُ ذَلِكَ إِنْ أَنَا
جِئْتُكَ بِهِ ؟

قَالَ الرَّسُولُ النَّبِيُّ : نَعَمْ .

قَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ .

فَقَالَ الرَّسُولُ : الَّذِي ^(١) يَقُولُ

مَا يَقُولُ ؟ وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ،

فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دَعْنِي ^(٢) وَعَدُّو اللَّهَ

أَضْرِبْ عُنُقَهُ .

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ الْحَلِيمُ : « دَعُهُ عَنْكَ

(أَتْرَكُهُ) ؛ فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَنَا تَائِبًا نَارِعًا ^(٣) .

(١) هَلْ هُوَ الَّذِي ؟ (٢) أَتْرَكْنِي . (٣) مُسْلِمًا ، مُقْبِلًا عَمَّا ارْتَكَبَهُ .

ثُمَّ أَخَذَ كَعْبٌ يُلْقِي قَصِيدَتَهُ (بَانَتْ
سُعَادُ) الْمَشْهُورَةَ يَمْدَحُ فِيهَا الْمُصْطَفَى
إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
وَصَارِمٌ^(١) مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولٌ^(٢)
فَرَمَى رَسُولُ اللَّهِ بُرْدَتَهُ^(٣) الشَّرِيفَةَ
إِلَيْهِ ، وَعَفَا عَنْهُ . وَقَدْ قَدَّمَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي
سُفْيَانَ لَهُ فِيهَا عَشْرَةَ آلَافٍ ، فَقَالَ
كَعْبٌ ، مَا كُنْتُ لِأَوْثَرِ (لِأَفْضَلِ) بِثَوْبِ
رَسُولِ اللَّهِ أَحَدًا . فَلَمَّا مَاتَ كَعْبٌ أَرْسَلَ

(١) سَيْفٌ قَاطِعٌ . (٢) سَلَّ السَّيْفَ : أَخْرَجَهُ مِنْ قَرَابِهِ .
(٣) الْبُرْدَةُ : كِسَاءٌ (ثَوْبٌ) أَسْوَدُ مُرَبَّعٍ فِيهِ صِغَرٌ تَلْبَسُهُ الْأَعْرَابُ .

مُعَاوِيَةَ إِلَى وَرَثَتِهِ عِشْرِينَ أَلْفًا ، فَأَخَذَهَا مِنْهُمْ .

مُعَامَلَةُ الرَّسُولِ لِأَعْدَائِهِ :

كَانَ صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ مِنْ أَشَدِّ أَعْدَاءِ الرَّسُولِ . وَبَعْدَ أَنْ انْتَصَرَ عَلَى أَعْدَائِهِ وَفَتَحَ مَكَّةَ أَرَادَ صَفْوَانُ أَنْ يَهْرُبَ إِلَى جُدَّة^(١) ؛ لِيُهَاجِرَ بَحْرًا إِلَى الْيَمَنِ ، فَاتَى أَحَدَ الصَّحَابَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، إِنَّ صَفْوَانَ سَيِّدُ قَوْمِهِ ، وَقَدْ خَرَجَ هَارِبًا مِنْكَ ، لِيَرْمِيَ نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ ، وَهُوَ يَطْلُبُ الْأَمَانَ مِنْكَ . قَالَ

(١) مِينَاء عَلَى الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ .

الرَّسُولُ : صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هُوَ
آمِنٌ » .

قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَعْطِنِي عِلَامَةً
يَعْرِفُ بِهَا أَنَّهُ فِي أَمَانٍ . فَأَعْطَاهُ الرَّسُولُ
الْعَظِيمُ عِمَامَتَهُ الَّتِي دَخَلَ بِهَا مَكَّةَ ،
فَخَرَجَ بِهَا الصَّحَابِيُّ حَتَّى لَحِقَهُ وَهُوَ يُرِيدُ
أَنْ يَرْكَبَ السَّفِينَةَ .

فَقَالَ الصَّحَابِيُّ : يَا صَفْوَانُ ، أَبِي
وَأُمِّي فِدَاءُ لَكَ . لَا تُهْلِكُ^(١) نَفْسَكَ .
فَهَذَا أَمَانُ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ جِئْتُكَ بِهِ .

(١) لَا تُقْتَلُ .

قَالَ صَفْوَانُ : إِنِّي خَائِفٌ عَلَى نَفْسِي .
قَالَ الصَّحَابِيُّ : إِنَّ الرَّسُولَ مَثَلٌ لِلْحِلْمِ
وَالْكَرَمِ . وَأَخَذَ صَفْوَانُ ، وَرَجَعَ مَعَهُ ،
حَتَّى وَقَفَ بِهِ أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ . فَقَالَ
صَفْوَانُ لِلْمُصْطَفَى : إِنَّ هَذَا يَقُولُ إِنَّكَ قَدْ
أَعْطَيْتَنِي الْأَمَانَ عَلَى نَفْسِي .

قَالَ الرَّسُولُ : صَدَقَ (فِيمَا قَالَ) .
قَالَ صَفْوَانُ : فَاجْعَلْنِي فِي أَمَانٍ مُدَّةَ
شَهْرَيْنِ أَخْتَارُ وَأُفَكِّرُ فِيهِمَا .
قَالَ الرَّسُولُ الْحَلِيمُ النَّبِيلُ : أَنْتَ
بِالْخِيَارِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ .

فَالرَّسُولُ الْكَرِيمُ قَدْ عَفَا عَنْ عَدُوِّهِ
 اللَّذُودِ (الشَّدِيدِ الْخُصُومَةِ) ، وَأَرْسَلَ
 إِلَيْهِ عِمَامَتَهُ كَى يُطْمَئِنَّهُ ، وَبَدَلًا مِنْ أَنْ
 يَجْعَلَ لَهُ شَهْرَيْنِ لِلْخِيَارِ بَيْنَ الْكُفْرِ
 وَالْإِسْلَامِ أَعْطَاهُ مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ يُفَكِّرُ
 فِيهَا وَيَخْتَارُ ؛ كَى لَا يُجْبِرَهُ عَلَى
 الْإِسْلَامِ . وَهَذَا هُوَ الْمَثَلُ الْعَالِي فِي
 الْحِلْمِ وَالْعِظَمَةِ الْخُلُقِيَّةِ . فَالْإِسْلَامُ لَمْ
 يُنْشَرْ بِالسَّيْفِ .

مُعَامَلَةُ الْمُصْطَفَى لِقَاتِلِ عَمِّهِ حَمْزَةَ :
 وَمِمَّنْ جَعَلَ الرَّسُولُ يَكِي عَبْدًا أَسْوَدَ

حَقِيرٌ ، إِسْمُهُ وَحِشِيٌّ . وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ
بِالْحَرَبَةِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، عَمَّ
الرَّسُولِ ، وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ أَنْصَارِ
الرَّسُولِ ، فُي نَشَرَ الْإِسْلَامَ ، وَدَافَعَ عَنْهُ
دِفَاعَ الْأَبْطَالِ .

قَالَ وَحِشِيٌّ : بَعْدَ أَنْ فَتَحَ الرَّسُولُ
مَكَّةَ وَالطَّائِفَ خَرَجْتُ وَذَهَبْتُ إِلَى
رَسُولِ اللَّهِ ، وَوَقَفْتُ بِجَانِبِهِ فَجَاءَ أَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .
فَلَمَّا رَأَى قَالَ : أ (أَنْتَ) وَحِشِيٌّ ؟
قُلْتُ : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ .

قَالَ : أَقْعُدْ فَحَدَّثَنِي كَيْفَ قَتَلْتَ
حَمْزَةَ ؟

قَالَ وَحَشِيٌّ : فَحَدَّثْتُهُ عَنِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي
بِهَا قَتَلْتُ حَمْزَةَ . فَلَمَّا انْتَهَيْتُ مِنْ حَدِيثِي
قَالَ : « وَيْحَكَ (كَلِمَةُ رَحْمَةٍ) ! غَيْبُ
(أَبْعُدْ) عَنِّي وَجْهَكَ ، فَلَا أَرِيَنَّكَ » .

قَالَ وَحَشِيٌّ : فَكُنْتُ دَائِمًا أَبْتَعِدُ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ ، فِي كُلِّ مَكَانٍ كَانَ فِيهِ ؛ خَوْفًا
مِنْ أَنْ يَرَانِي ، حَتَّى اخْتَارَهُ اللَّهُ (مَاتَ) .
وَقَدْ كَانَ فِي اسْتِطَاعَةِ الْمُصْطَفَى أَنْ
يَأْمُرَ بِقَتْلِهِ أَوْ تَعْذِيبِهِ ، وَلَكِنَّهُ صَفَحَ عَنْهُ ،

وَكُلُّ مَا فَعَلَهُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ ؛
لِأَنَّهُ طَعَنَ حَمْزَةً بِالرُّمَحِ حَتَّى أَخْرَجَ
أَحْشَاءَهُ (أَمْعَاءَهُ وَمَصَارِيْنَهُ) مِنْ بَيْنِ
ضُلُوعِهِ .

مُعَامَلَتُهُ لِمَنْ كَانَ يُفَكِّرُ فِي قَتْلِهِ :
كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فِي
مَكَّةَ ، فَأَرَادَ (فَضَالَةُ بْنُ عُمَيْرٍ) أَنْ
يَقْتُلَهُ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ مُحَمَّدٍ قَالَ :
أَ (أَنْتَ) فَضَالَةُ ؟

قَالَ : نَعَمْ : فَضَالَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ .
قَالَ الرَّسُولُ : مَا (الَّذِي) كُنْتَ

تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ ؟

قَالَ : لَا شَيْءَ ، كُنْتَ أَذْكَرُ اللَّهَ
تَعَالَى .

فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
إِسْتَغْفِرِ اللَّهَ . ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ
فَسَكَنَ قَلْبُهُ .

فَكَانَ فُضَالَةً يُقُولُ : وَاللَّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ
عَنْ صَدْرِي حَتَّى كَانَ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيَّ .
وَهَذِهِ أَمْثَلَةٌ لِنُبْلِ الرَّسُولِ ﷺ
وَعَظَمَتِهِ فِي أَخْلَاقِهِ . يُحْسِنُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ
إِلَيْهِ ، وَيَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيَصْفَحُ عَمَّنْ
أَرَادَ قَتْلَهُ .